الملتقى العلمي الأول لنقد المتن الحديثي

سعد الدين منصور*

عقد هذا الملتقى بتاريخ 17-18 شعبان 1425/ 2-3 تشرين الأول (أكتوبر) 2004، بمدينة عمان/ الأردن، ونظمه المعهد العالمي للفكر الإسلامي بالتعاون مع جمعية الدراسات والبحوث الإسلامية وجمعية الحديث الشريف وإحياء التراث بعمان بالمملكة الأردنية الهاشمية.

وتقدم فكرة الملتقى على أن السنة النبوية المطهرة حظيت باهتمام الصحابة رضوان الله عليهم في عهد الرسول ﷺ وبعد وفاته، حيث حرصوا على فحص تلك الأحاديث، وفق مناهج اعتمدوها، وورث ذلك التابعون. وقد حظي السند بالاهتمام البالغ، نظرًا لما مر به المسلمون من فتن، حيث أصبح توثيق السند من الدين، مما أوجد تراثًا ضخمًا من العلوم الخادمة للسنة. ولئن لم يغفل أهل العلم المتن الحديثي، إلا أن الاهتمام به لم يرق إلى مستوى الاهتمام بالسند، إذ هناك جهود بذلت في هذا المجال، تستحق الكشف عنها وتجليتها والاهتمام بها، والعمل على تأصيلها في شكل قواعد علمية لا تقل شأنًا عما أنجز للسند، وهذا ما سعى إليه هذا الملتقى العلمي.

* أستاذ مساعد بقسم القرآن والسنة، كلية معارف الوحي والعلوم الإنسانية، الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا.

وقد سعى الملتقى إلى تحقيق عدة أهداف منها: أ – إبراز حجم الاهتمام الذي حظيت به السنة النبوية على صعيد المتن، والتتبع التاريخي لمراحل الاهتمام بالمتن الحديثي. ويشمل ذلك عصر ما قبل التدوين، وما بعد التدوين للسنة النبوية، سواء كان ذلك في كتب الرواية، أوكتب مصطلح الحديث، أو كتب العلوم الأخرى، مع تقويم الجهود المعاصرة في نقد المتن. ب – إعداد كشاف ببيلوغرافي تراثي لنقد المتن في السنة النبوية، يتضمن تحديداً المواضع التي وردت في نقد المتن الحديثي، سواء في ثنايا كتب السنة أو في مصادر أخرى مستقلة. ج – ويهدف الملتقى كذلك إلى بلورة قواعد نقد المتن الحديثي في ضوء القرآن الكريم وفي ضوء الثابت من السنة، وفي ضوء الحقائق العلمية والكونية، وفي ضوء الوقائع والمعلومات التاريخية، وفي ضوء مقاصد الشريعة. د – كما يهدف إلى دراسة علل متن الحديث وتطبيقاتها في كتب المصطلح، ونقد المتن في ضوء المذاهب الكلامية، والتلازم بين نقد المتن والسند. هـ – ومن أهدافه أيضا إجراء دراسات تطبيقية على قواعد نقد المتن من خلال كتب السنة، وتوجيه الدراسات المعاصرة في نقد المتن، ودراسة اهتمام المستشرقين بنقد المتن.

بدأ الملتقى بكلمات افتتاحية قصيرة تحدث فيها كل من إسحاق الفرحان رئيس مجلس إدارة جمعية الدراسات والبحوث الإسلامية وفتحى الملكاوي عن المعهد العالمي للفكر الإسلامي وسلطان العكايلة رئيس جمعية الحديث الشريف، ود. عبد الجبار سعيد رئيس اللجنة التحضيرية للملتقى. وتضمنت كلماتهم شكر الحضور والعلماء الباحثين المشاركين والمؤسسات المنظمة للقاء، وتأكيد أهمية التداول حول هذا الموضوع.

وقد عرض في الندوة زهاء سبعة عشر بحثًا في خمس جلسات، وتخللت كل الجلسات كلّها مناقشاتٌ مهمة، رافقتها توضيحات واستدراكات وتعليقات أغنت البحوث. وهناك ثلاثة بحوث لم تناقش، أحدهما لمحمد الوثيق من المغرب بعنوان: "السياق ودوره في نقد المتن"، والثاني لعز الدين جوليد من المغرب أيضًا بعنوان: "نقد

المتن الحديثي في ضوء الوقائع والمعلومات التأريخية"، والثالث لسامي الصلاحات من الأردن بعنوان: "نقد الحديث في ظل مقاصد الشريعة الإسلامية".

وأما الموضوعات التي نوقشت فهي ورقة محمد شكور إمرير أستاذ مساعد بكلية الدعوة وأصول الدين بالجامعة الأردنية، وكان بحثه بعنوان: "منهج السيدة عائشة رضي الله عنها في نقد المتن"، وقد بين فيه الباحث منهج السيدة عائشة في نقد متن الحديث النبوي من خلال الأحاديث الصحيحة التي رويت لها وهي تستدرك على الصحابة ﷺ روايتهم لأحاديث معينة عن رسول الله ﷺ، وخلص البحث إلى صحة ما أجمع عليه أهل العلم أن صحة الإسناد لا تستلزم صحة المتن. وأن نقد المتن لا يدل على كذب الراوي أو ضعفه، وأن لنقد المتن صوراً عديدةً.

و قد تناول أحمد المجتبى بانقا الأستاذ المساعد بالجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا في بحثه: "المنهج العلمي للمحدثين في نقد متون السنة في عصر الرواية" عدة محاور، بدأها بتحليل معاني المنهج والنقد والرواية وعناصر البيئة الاجتماعية الفاعلة في عصر الرواية، ونقد المتن ونشأته وتطوره، ومعايير نقد المتن فيما بعد عصر الصحابة إلى نهاية الرواية.

وناقش سعد الدين منصور محمد الأستاذ المساعد بالجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا في بحثه: "وقفات عند نقد المتون في كتب مصطلح الحديث" نشأة علوم الحديث والتأليف فيه، وبداية نقد المتون، محاولاً الإجابة عن سؤال طرحه هو: هل خدم أهل المصطلح نقد المتون كما خدموا الأسانيد، وتناول عددا من أنواع الحديث التي تتصل بهذا الجانب في كتب أهل الاصطلاح كالموضوع والمدرج والمقلوب والمضطرب والمعل والمصحف والمحرف وزيادة الثقة.

وركّزت ورقة عبد الجبار سعيد الأستاذ المساعد بجامعة الزرقاء الأهلية: "نقد متن الحديث الإطار المرجعي والمشكل المنهجي"، على مناهج نقد المتون، وخاصة عند الإمام ابن قيم الجوزية في كتابه "المنار المنيف في الصحيح والضعيف".

وتحدث نصر البنا من جامعة العلوم التطبيقية الأردن عن "جهود بعض المعاصرين في نقد المتن عرض ونقد"، فأشار إلى أصناف المصنفين فجعل منهم المتبصرين، وصنفا ادعوا أن هناك صراعًا بين أهل الحديث والعقل، وسرد تسعًا وعشرين دراسة للمعاصرين في تناول نقد المتن الحديثي عرضها وعقب عليها وخلص إلى نتائج طيبة من خلال عرضه وتعقيبه على تلك الدراسات.

وكانت ورقة فتح الدين البيانوني الأستاذ المشارك بالجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا بعنوان: "معالم نقد الروايات في القرآن الكريم"، حيث عرف نقد الروايات وبين معالم نقد الروايات في القرآن الكريم من خلال أربعة معالم هي: الأمر بالتثبت في الروايات، والإشارة إلى تطبيق القرآن الكريم لمنهج الجرح والتعديل، والتنبيه إلى اشتراط القرآن الكريم التحقق من عدالة الشاهد والراوي، والإشارة إلى عناية القرآن الكريم بنقد متن الرواية.

وعرض فائز أبو عمير الأستاذ المساعد بجامعة جرش الأردنية بحثًا بعنوان: "قواعد نقد الخبر في الكتاب والسنة"، حيث عرض للأسباب الموجبة لقيام النقد ولخصها في سوء الطوية والنية، والوهم، والخطأ، والنسيان، الاختلاف في الفهم، والقراءة الجزئية للنصوص الحديثية. وخلص إلى معايير استعملها العلماء لنقد المتون أجملها في المخالفة الصريحة للقرآن الكريم، أو السنة المعلومة المشهورة، أو الواقع، أو الحس، أو الثابت من التاريخ، أو المعقول.

وقدم إحسان سمارة من جامعة جرش الأهلية بالأردن ورقة بعنوان: "قواعد وموازين رئيسية في نقد المتن"، تضمنت مقدمة بين فيها مكانة الحديث في الإسلام، وركز على أهمية نقد المتن، وتناول نقد المتن الحديثي ومشروعيته، موضحًا جملة قواعد وموازين شرعية في نقد المتن، هي عرض الحديث على الكتاب العزيز، ومخالفة الحديث

للإجماع القطعي، وركاكة ألفاظ الحديث مع فساد المعنى، ومخالفة الحديث لبداهة المعقول، ومخالفته للحقائق التاريخية، وتضمن الحديث لبدع وتيارات سياسية.

وعرض مشهور أقطيشات الأستاذ المساعد بالجامعة الأردنية بحثه المعنون: "منهج ابن حزم في نقد المتن"، حيث عرف بابن حزم وبين منهجه في نقد المتون دون الأسانيد.

وتعرض قاسم غنام الأستاذ المساعد بجامعة جرش بالأردن في ورقته: "موقف المحدثين من نقد المتن"، لضوابط نقد المتن عند المحدثين مقررًا ذلك بالشواهد والأمثلة. وقد أجملها هذه الضوابط في المخالفة الصريحة للقرآن الكريم، وللحديث الثابت، وللعقل والحس، وللحقائق التاريخية، ولركاكة اللفظ. وأوضح مدى اهتمام الصحابة والتابعين بنقد متون الأحاديث، وتناول الحكم على رواة الحديث من خلال النظر في مروياتهم.

وتضمنت ورقة خالد بن منصور الدريس من جامعة الملك سعود المعنونة: "نقد المتن وأثره في الحكم على رواة الحديث"، الرد على من زعم أن كتب الرجال والعلل بعمومها قد خلت من مبحث نقد المتن باعتباره ركيزة أساسية عند علماء الجرح والتعديل في نقد الرواة والحكم عليهم، وبين أن الأسباب الموجبة لنقد المتن لا تخلو في جملتها من ثلاثة أشياء هي: المخالفة لصريح القرآن أو صحيح السنة أو الإجماع أو الراوي الأول الأعلى، أو التفرد مطلقا، أو الاضطراب أي رواية الحديث على أوجه مختلفة متساوية في القوة. وبين أن السنة الصحيحة لا تعارض القرآن. وأنه لهذا لا داعي لعرضها على القرآن الكريم، ورفض الباحث مبدأ عرض السنة على العقل لأن ذلك يؤول إلى فتح باب الفساد أكثر من الصلاح.

وتناولت ورقة نضال حسن المومني (إمام وخطيب مسجد سُوف بعجلون بالأردن) المعنونة: "جذور ثلب المحدثين في الاهتمام بالسند دون المتن"، الرد على الشبهة القائلة بأن أهل الحديث لم يعتنوا بنقد المتن، أن عنايتهم اقتصرت على نقد السند فقط، حيث بين الباحث اهتمام المحدثين المتوازن بالسند والمتن معا، وأكد على

أن صحة السند تقتضي صحة المتن، ورد على المعتزلة قولهم أن المحدثين اهتموا بالسند دون المتن، مشيراً أنهم كانوا يردون بعض الأحاديث باعتبار متنها لأنها تتعارض مع أصولهم، ثم رد على المستشرقين وذكر نماذج من آرائهم حيث هاجموا المحدثين بهذه الفرية، ورد كذلك على تلاميذ المستشرقين في هذه الشبهة كأحمد أمين وأحمد زكي أبو شادي، صاحب كتاب "ثورة الإسلام"، وإسماعيل الكردي صاحب كتاب "نحو تفعيل قواعد نقد المتن".

أما سلطان العكايلة الأستاذ المساعد بالجامعة الأردنية فقد كانت ورقته بعنوان: "قواعد عرض الحديث على الوقائع والمعلومات التاريخية"، وأصل الورقة كتاب كتبه الباحث حيث عرض في الندوة مباحث منه تناولت صلة علم التاريخ بالحديث الشريف. وصلة المؤرخين بالمحدثين، وتناول بعض الأمثلة والنماذج من عرض الحديث على الوقائع والمعلومات التاريخية، مشيرًا إلى مصادر ومراجع في هذا الفن، أشهرها كتاب ابن قيم الجوزية "المنار المنيف في الصحيح والضعيف".

واشتملت ورقة أمين دغمش، المدرس بكلية أصول الدين الأهلية بالأردن والموسومة: "دراسات حديثية تطبيقية في نقد المتن" على بيان عناية العلماء بنقد المتون الحديثية منذ وقت مبكر في عهد الصحابة والتابعين إلى عصر المصنفات الحديثية، وذكر ضوابط وقواعد لنقد المتن نص عليها العلماء في مصنفاتهم، مورداً أمثلة ونماذج من الأحاديث المنتقدة في متونها. وأشار إلى دور العقل في نقد متن الحديث، ذاكرًا أقول العلماء في هذا المشكل، كابن تيمية والخطيب البغدادي، والمعلمي اليماني.

وتناول بحث عمار الحريري "نقد الحديث الصحيح في ضوء الحقائق العلمية"، وهو الأستاذ المساعد بجامعة دمشق سوريا، محاولاً لتأصيل منهج المحدثين في نقدهم الداخلي للحديث، وتساءل الباحث إن كانت الحقائق العلمية والحسية المشاهدة، أو العلم التجريبي صلح دليلاً على صدق الراوي من خطئه. ثمّ خلص الباحث إلى أن نقد

الحديث في ضوء العلم لا يخرج عن أن يكون علة خفية وقادحة تقدح في صحة الحديث. وأشار الباحث إلى أهمية نقد المتن عن طريق العلم، مما يسمح بإعادة النظر في بعض الأحكام الفقهية الهامة كنفخ الروح في الجنين وما يترتب عليه من أحكام، ورؤية هلال رمضان.

وقدم ياسر الشمالي الأستاذ بالجامعة الأردنية ورقته بعنوان "نقد المتن بعلة الرواية بالمعنى دراسة تطبيقية"، تناول فيها اهتمام علماء الحديث بنقد المتن من جهة الانتباه إلى خطإ الثقة إذا روى بالمعنى، وقد اختار الباحث بعض الأحاديث التي تتعلق بالعقيدة للدراسة -كحديث الصورة والشمال والقدم والرجل- بهدف تجلية موقف علماء الحديث المحققين منها، وإبراز اهتمامهم بنقد المتن ويقظتهم في تعقب أخطاء الرواة، وتتبعهم للممارسة العملية للراوية بالمعنى، وبيان منهج البخاري ومسلم في التعامل مع أمثال هذه الأحاديث، والتنبيه إلى أسس اعتماد ما روي في باب الاعتقاد دون التفات إلى مناهج مقررة مسبقًا يعتري بعضها شيء من الغلو، سواء في جانب النفي أو الإثبات.

وآخر الأوراق كانت بعنوان "الانتقادات الموجهة إلى متن حديث التربة، عرض ودراسة"، ألقاها خالد القاسم من جامعة مؤتة بالأردن. تناول البحث تصحيح حديث التربة الذي أخرجه مسلم في صحيحه، والنسائي في سننه عن طريق أبي هريرة ﷺ سندًا ومتنًا، ورد الشبهات المثارة حول الحديث، كادعاء مخالفته لصريح القرآن الكريم، وشبهة موافقة الحديث للإسرائيليات، وشبهة أن الخلق وقع يوم الأحد، والحديث يخالف في ذلك.

وكانت كلمة الختام لعبد الجبار سعيد رئيس اللجنة المنظمة للملتقى الذي أعرب فيها عن شكره للمؤسسات التي أسهمت في تقديم الدعم العلمي والمالي والإدراي لتنظيم الملتقى، وشكر العلماء الباحثين الذين قدموا عصارات أفكارهم في بحوث هذه

الندوة، وللمشاركين الذين واظبوا على الحضور، وأكد نشر المقالات في كتاب، ثم تليت التوصيات الآتية:

1- ضرورة العناية بصحة المتن والحيطة والضبط في ذلك، على أن يتولى ذلك العدول ذوو الاختصاص وفق قواعد علوم الحديث المرعية.

2- إعداد موسوعة حديثية شاملة تجمع فيها الأحاديث المنتقدة في متونها، وأوجه النقد التي وجهت إليها، والردود عليها إن وجدت، وكذلك جهود السابقين في نقد المتن.

3- توظيف العلوم الحديثة والدراسات التجريبية ووسائل البحث العلمي الحديث في دراسة الأحاديث، والحكم عليها ضمن القواعد المرعية في الحديث.

4- اعتبار هذا الملتقى بداية لسلسلة من المنتديات العلمية حول هذه القضية وإشباعها بحثًا والإكثار من الدراسات التطبيقية في نقد المتون ودراستها، وعقد هذا الملتقى سنويًّا، وترسيخ التعاون بين المؤسسات الثلاث: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، وجمعية الدراسات والبحوث الإسلامية، وجمعية الحديث الشريف، وغيرها من المؤسسات المهتمة بالإعجاز العلمي في القرآن والسنة.

5- طباعة أبحاث الملتقى ونشرها في كتاب يتداول بين طلاب العلم.

6- توصية كليات الشريعة في الجامعات الأردنية والعربية والإسلامية، بإدخال مادة نقد المتن الحديثي ضمن مقرراتها في خططها الدراسية.

7- تأكيد ضرورة اعتماد منهجية علمية في دراسة متن السنة ونقده، من قبل باحثين أكفاء، ضمن عمل مؤسسي تجتمع في إطاره كافة الطاقات والتخصصات العلمية لهذا العمل.

8- ضرورة تحديد المصطلحات المتعلقة بنقد متون السنة وتحريرها وضبط القواعد المتعلقة بنقد المتون في ضوئها.

9- العمل على إنشاء موقع على الشبكة العنكبوتية العالمية (الإنترنت) يعنى بنقد المتن الحديثي ويستقطب المختصين والمهتمين في العالم على أن يكون موقع جمعية الحديث الشريف وإحياء التراث مكانًا له.